

(الوعي الجمعي لدى "دور كايم" واللاوعي الجمعي لدى "كارل يونغ" ..

علاقة تكامل أم تضاد؟)

د/ غريب حسين

أ/ حوة فطوم

قسم علم النفس والفلسفة، جامعة الجلفة

الملخص:

يُعَدُّ الدين بكل جوانبه مبحثاً يثير انشغال الباحثين والمفكرين منذ القديم، حيث عكفوا على محاولة تفسير عناصره، وكشف بداياته ونشأته، ورصد أبعاده وحدوده، فنجد فكر كارل يونغ و (إيميل دوركايم) الذي يتسم بالنزعة الدينية، إذ قام كل منهما بتفسير الدين _ رغم اختلاف عقيدة كل منهما _ من منظور جمعي، ففي حين ركز (دوركايم) على الوعي الجمعي، ركز (كارل يونغ) في المقابل على اللاوعي الجمعي وقد أحدث كل منهما تغييراً واضحاً في الفكر الإنساني . وتهدف هذه الورقة إلى التعرف على خصائص وجهة نظر كل منهما، كما تهدف إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين النظريتين إن كانت علاقة تكامل أم تضاد. وقد تبين أن لكلٍ من الوعي واللاوعي الجمعيين تأثير في الآخر، فالعلاقة بينهما متداخلة وقد يستحيل أحدهما في شكل الآخر في حال توفرت لذلك ظروف و شروط معينة.

الكلمات المفتاحية: الوعي الجمعي – اللاوعي الجمعي – الدين – المعتقد – الضبط الاجتماعي – الطقوس – الأسطورة – الرموز.

Abstract :

Religion in all its aspects is considered as a field raises the concern of researchers and thinkers since ancient time. they tried to explain its elements, and explore its origins, beginnings, dimensions, and the limits Where we find the thought of each of Emil Durkheim and Carl Jung that is characterized by religious tendency ; they both explain religion _ Despite of the difference in doctrine _ from Collective point of view, while Durkheim focused on the collective consciousness , Carl Jung in contrast; focused on the collective unconsciousness. Each of them has brought about a clear change in human thought. This paper aims to identify the characteristics of each their point of view; it is also attempt to investigate the nature of the relationship between the points of view if was integral or antagonist . It has been shown that both collective consciousness ,and unconsciousness influence each other ; because the

relationship between them was integral ,one of them may become in the form of the other; under certain conditions .

Key words : The collective consciousness - The collective unconsciousness - Religion – Doctrine - Social control - Rituals-The Myth— Symbols

الإشكالية:

لقد أصبح من المؤكد اتّسام الظاهرة الدينية بالعالمية، فالظاهرة الدينية لازمت الإنسانية منذ نشأتها الأولى، بحيث لا يوجد مجتمع من المجتمعات إلّا وقام هيكله الاجتماعي على أساس ديني (مهدي محمد القصاص ، 2008 ، ص 16).

وما جدير بالذكر هو أن المجتمعات البشرية على اختلاف نشأتها وتطورها قد آمنت أن هناك قوى عليا تهيمن على العالم الدنيوي، وقد كان خوف الإنسان من هذه القوى العليا، يجعله يتقدم إليها بالقرايين و العطايا لإرضائها، حتى يعيش في سلام ووثام مع هذه القوى (المراجع نفسه ، ص 21)

ويُعَدُّ علم النفس الديني و علم الاجتماع الديني من أهم المباحث في المجالين و ميدانين للبحث و الاستقصاء و التحليل النفسي و الاجتماعي، وقد كان بقاءه ودوامه على هرم القضايا الهامة والمسائل البارزة المطروحة في كل المجالات السياسية منها والعلمية والاقتصادية...وغيرها، يُثبت مكانته وأهميته في ماضي البشرية وحاضرها، فنجد كلا من "كارل يونغ" و "إميل دوركايم" الذي يتّسم بالزرعة الدينية، قد قام كل منهما بتفسير الدين من وجهة نظر جمعية، ففي حين ركّز دوركايم على الوعي الجمعي، ركز كارل يونغ في المقابل على اللاوعي الجمعي،

وتعكس دراسة الوعي الجمعي عند "دوركايم" نظريته عن القهر الاجتماعي وترتبط معالجته للظواهر الاجتماعية ارتباطاً وثيقاً بمناقشة الوعي الجمعي ، ويعتمد الوعي الجمعي في وجوده على والعواطف والمعتقدات الموجودة في الوعي الفردي. (عبد العزيز الغريب، 2009، ص 156)

وعلى المستوى اللاوعي من ذلك كانت أفكار يونغ في أول الأمر شبيهةً بآراء فرويد، وكان يُعَدُّ العقائد الدينية إزاحةً وإسقاطاً لصور الوالدين. لكن حين اكتشفَ اللاوعيَ الجَمَعيَّ **collective unconscious** تغيّرت تصوّراته هذه كُلُّها. ففي نظره الدين ليس عُصَاباً وإنما هو حاجةٌ لنموّ شخصيّة الإنسان وتسامها وهو يرى كذلك أنّ الدين غيرُ مرتكز على المسائل الجنسية، لأنّ الليبيدو أوسع من ذلك بكثير .

كما يرى أنّ اللاوعيَ الجَمَعيَّ كامنٌ تحت اللاوعي الفرديّ والمعلوماتُ الناجمة عن اللاوعي الجَمَعيّ، تختلف عن المعلومات الناجمة عن اللاوعي الفرديّ ومن الممكن أن تكون المعلومات الناجمة عن اللاوعي الجمعي أكثر تبصراً، وتكون متضمنةً لقوّة ونفوذ قُدسيّين، وتبدو كأنّها مُحصّلةٌ من خارج الفرد، وتتمتّع بقوة عاطفيّة. يتضمّن اللاوعي الجَمَعيّ الصورَ الأُولى الأُوليّة، التي توافرت كالغرائز من قبل تاريخ النوع البشريّ هذه النماذج (مسعود أذربيجاني، 2016، ص ص 77:78).

و تعني كلمة النفس عند المجموعة الكلية أو الوحدة الكلية لعمليات النفسية الواعية منها وغير الواعية، فهي مجرد تركيب وظيفي محمود أوسع شمولاً مما تعنيه كلمة الروح وتشارك الأنا في كل من الوعي واللاوعي (أحمد محمد جاد، ب. ت. ص 60)

وبين المفهوم الأول والثاني، يبدو للمتمتع أن الوشائج بينهما تكاد تفصح عن نفسها تاركة كثيراً من الغموض، ففي الوقت الذي يستند فيه المفهوم إلى مبدأ الجمعية تقف مسألة مستويات الوعي موقفاً آخر ومنه تتبادر إلى الذهن تساؤلات نصوغها كالتالي:

1- ما خصائص كل من الوعي واللاوعي الجمعيين ؟

2- ما طبيعة العلاقة بين الوعي واللاوعي الجمعيين أي علاقة تكامل أم تضاد؟

مفاهيم الدراسة:

الوعي الجمعي:

مجموعة من المعتقدات والعواطف المشتركة لدى متوسط أعضاء المجتمع الواحد والتي تشكل نظاماً اجتماعياً محدداً له حياته الخاصة به (عبد العزيز الغريب، مرجع سابق، ص 156).

اللاوعي الجمعي:

ويرى يونغ أن اللاوعي الجمعي كامنٌ تحت اللاوعي الفردي يتضمن بدوره قوةً ونفوذاً قُديسين، والصور الأزلية الأولى، التي توافرت كالغرائز من قبل تاريخ النوع البشري. ولا يمكن تعرفها مباشرةً، وإنما تُعرف من خلال النماذج والرموز، وتُستمد من الثقافة والتجربة الشخصيتين. إنها أشكال مجردة تجعلنا مهينين للاعتقاد ببعض الأفكار، والرؤى والأوهام، والمعتقدات الدينية، والأسطورية، (مسعود أذربيجاني، مرجع سابق، ص 78).

المعتقد:

حكم أو رأي أو اتجاه يتعلق بالواقع الاجتماعي، حيث يعتنقه الفرد باعتباره صحيحاً

الدين:

هو مجموعة من المعتقدات والطقوس التي تحدد علاقة الإنسان بالقدس. وهو صورة من التعاليم المنزلة من الخالق (المقدس) والمعتقدات والطقوس المرتبطة بها. (<http://www.nama-center.com/ActivitieDatials.aspx?id=30528>)

الطقوس:

فالطقس يعني مجموعة من "القواعد" التي تنتظم بها ممارسات الجماعة، إما خلال أداء شعائرها التي تعدّها مقدّسة أو من خلال تنظيم أنشطتها الاجتماعية والرمزية وضبطها وفق "شعائر" منتظمة في الزمان والمكان. (<https://insaniyat.revues.org/4331>).

الضبط الاجتماعي:

هو القوة التي يمارسها المجتمع على أفرادهِ والأساليب التي يتبعها للهيمنة والإشراف على سلوكهم وتفكيرهم بقصد الحفاظ على هيكل البنيان الاجتماعي و على الأوضاع والنظم الاجتماعية و البعد بها عن عوامل الانحراف.

(مهدي محمد القصاص ، مرجع سابق ، ص_ص 28:29)

الأسطورة:

إن الأسطورة في نهاية المطاف ؛ هي نتاج لغوي .لساني. وبالتالي هي محتوى وشكل يرشح أفكاراً عبر الطقسية والشعائرية. وهي معين لصناعة الأفكار من خلال مناحي التجريب والممارسة.. (http://dr-cheikha.blogspot.com/2011/09/blog-post_29.html)

الرّموز:

إنَّ الرَّمز ما يعني أو يومئ إلى شيء عن طريق علاقة بينهما ، كمجرد الاقتران أو الاصطلاح، أو التشابه العارض غير المقصود، فهو إذن نوع من الإشارات المتواضع عليها ، و يجمع الرمز برموزه علاقة باطنية وثيقة أكثر من مجرد التداعي أو الاصطلاح أو التشابه الظاهري (سلوى طبركان، 2012، ص 29).

قبل التعرف على طبيعة العلاقة التي تربط الوعي و اللاوعي الجمعيين لدى كل من دوركايم و يونغ لابد من التعرف على المفهومين من وجهة نظر كل من هذين العالمين وكيف فسرا الدين و الضبط الاجتماعي من خلالهما:

1_ الوعي:

تختلف مدلولات الوعي من مجال إلى آخر، ومن فيلسوف إلى آخر، فمنهم من يقرنه باليقظة في مقابل الغيبوبة أو النوم. ومنهم من يقرنه بالشعور فيشير إلى جميع العمليات السيكلوجية الشعورية. ويمكن أن نجمل الدلالة العامة للوعي فيما يلي: إنه ممارسة نشاط معين (فكري، تخيلي، يدوي...الخ)، وإدراك تلك الممارسة. (<http://rommanicity.canalblog.com/archives/2008/06/05/9460539.html>)

2_ الوعي الجمعي:

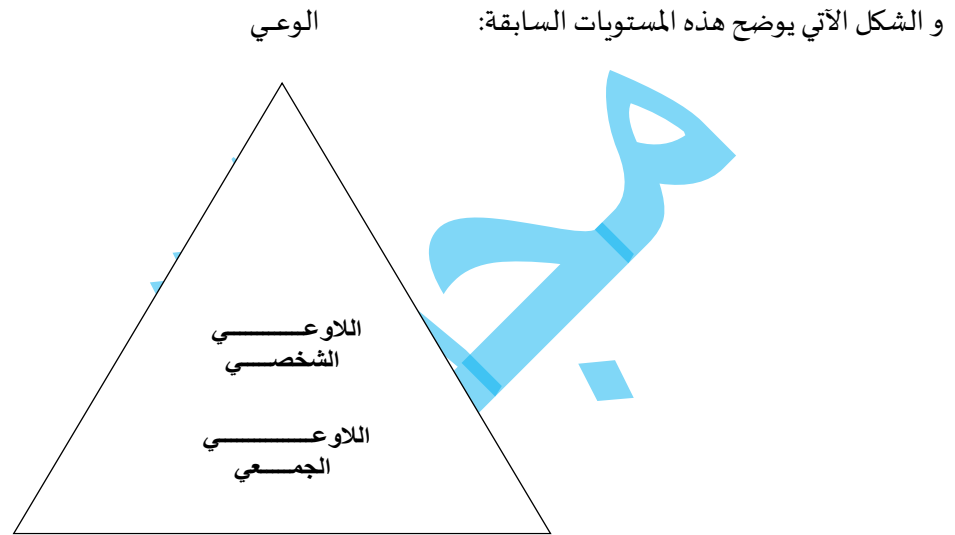
فالوعي الجمعي هو اسم ظاهرة تتعلق بآليات اتخاذ القرارات وتبنيها لأي عدد من الأفراد المجتمعين (<http://www.almadapaper.net/ar/news/520512/>).

3- اللاوعي:

يتضمن اللاوعي المواد المكبوتة، و الميول الطفلية و الغرائز الجنسية و العدوانية و كل العناصر التي لم تعد تحفظ بتوتر نفسي كاف في الوعي، واللاوعي يبقى نشطا ومنشغلا دائما في خلط محتوياته و إعادة تجميعها (كارل يونج، 1997، ص 12).

4_ اللاوعي الجمعي:

تظل مسيرة الإنسان مرتبطة بالثوابت العميقة كما يرى يونغ، والمخروط التالي يبين كيف أن هناك قسماً كبيراً وربما كان الأكبر من كل الأقسام معاً، لا نستطيع جرّه أو دفعه إلى الوعي، أو بالأحرى لا نستطيع أن نرصده في الوعي إلا بالتحليل النفسي. (حنّا عبود، 1999، ص 19).



إن اللاوعي الجمعي هنا مستوى مهم في علاقته بالدين فهو مخزن أو مستودع بدلا من أن يكون موجودات مجردة، تسمى نماذج بدائية. وهذه النماذج ميراث عام لكل البشرية واللاوعي الجمعي للإنسانية بكاملها مصدر الإلهام الديني المشترك، كم أنه الأساس الجوهرية لكل الأديان، وهذا اللاوعي الجماعي ظهر من التركيب الوراثي للماضي البشري، وتتركز في قعره النماذج الأصلية التي تشكل نوعا من المخططات الرمزية والعناصر الشكلية وهنا يكون تأثير اللاشعور على الإنسان ظاهرة دينية، أساسية، ويلزم عن ذلك أن العقيدة الدينية والحلم كلاهما ظاهرة دينية، لأن كلا منهما تعبير عن استيلاء قوة خارجية على الإنسان.

(أحمد محمد جاد، مرجع سابق، ص 63)

يعرض يونغ بعمق كبير بساطة الرمز (المثال الأصلي) لأن الرمز ملكة إنسانية تجعل الإنسان منتميا إلى عالم الانبثاق والخلق المتواصل بـ" التحول الليبيدوي "الانفعالي الدائم، إذن فالوظيفة الرمزية هي عبارة عن مكان مرور واجتماع متناقضات.

(محمد بوال، 2011، ص 112)

5_ مواطن التداخل:

وبناء على ما سبق من توضيح ومناقشة لكلا المفهومين بإمكاننا الآن أن نلتمس وجود وشائج تصل أحيانا إلى عدم التمييز بينهما بل إن التناقض لا يقوم بين الوعي واللاوعي؛ ذلك أن اللاوعي ليس نقيض الوعي، وليس انعداماً أو نفياً له. فاللاوعي هو وعي كامن، يهدأ في سكينه الطاقة الواعية المستغرقة في ذاتها؛ والوعي هو اللاوعي الذي ينفث إلى الوجود رويداً ليفهم ذاته. إن وعي الحالي هو وعي الذي كان كامناً في كياني على نحو لاوعي بالحاضر، ووعي كامل مستغرق في الوجود.

يتطابق الوعي واللاوعي ويتكاملان في وحدة تامة. فالحياة رحلة تبدأ باللاوعي – وهو الوعي الكامن، المستغرق في غيبوبة النشوة الروحية، والمتأمل ذاته على نحو عميق – وتنتهي بالوعي الذي بدأ يدرك أنه يدرك الموضوع الخارجي، ويتصور، ويتخيل، ويشعر، ويحس، ويحدث، ويجرد. (<http://rommanicity.canalblog.com/archives/2008/06/05/9460539.html>)

فكما يؤكد "كارل يونج" "لا يوجد فرد يتميز بفردانية مطلقة، كذلك لا توجد نتائج فردية من نوع فردي مطلق، حتى الأحلام تصوغها مادة جماعية على أرفع درجة، تماما مثلما يُستعان بموضوعات معينة بما يشبه أن يكون شكلا متماثلا، كما هو الشأن في الميثولوجيا والفولكلور عند مختلف الأقوام (كارل يونج، 1988، ص 66).

ولكي تتوضَّح مواطنُ التداخل هذه أكثر سيتم عرض الوظائف التي يؤديها كل من الوعي و اللاوعي الجمعيين في خدمة الآخر ولا أفضل من تحليل و مناقشة مكونات اللاوعي الجمعي لربطها بعناصر الوعي الجمعي في الجهة المقابلة فالطقوس كمظاهر رمزية كما سبق و أن أشرنا سابقا، والمعتقدات، والأساطير، والأحلام، والمنتجات الفنية و الأدبية التي تمثل مكونات اللاوعي الجمعي، تؤثر و تتأثر بعناصر الوعي الجمعي، فقد توصل "بيير بورديو" إلى أن تكرار الإتيان بشعائر الطقوس الدينية بحسب توقّيات زمنية، أسبوعية، سنوية، يعمل على ترسيخ المعتقد "تطبع" في الذهن والجسد.

ويرى الأنثروبولوجيون وعلماء الاجتماع أن ممارسات الطقوس تعمل على إعادة توازن نفسي وتُمكن الفرد من التوافق الحياتي والاجتماعي، حيث أنها تنشّط اللاوعي الجمعي العربي لمعالجة الحرمان والاعتراّب والشعور باليأس من خلال استحضار الماضي والشكوى لأشخاص قضوا نحيبهم والتوسل بهم لحل مشاكلهم.

ولهذا ما كانت هنالك طقوس دينية بهذه الجموع الغفيرة، بل كانت مناسبات إحياء ذكرى لرموز دينية عظيمة تجري خالصة لأصحابها لتشبع فيهم محبتهم وتقديرهم للأُمُحَدود لتلك الرُُمُوز الخالدة (<http://www.almadapaper.net/ar/news/520512/>).

من جهة أخرى فإنّ أهم فوائد ظاهرة العقل الجمعي، عند تجنب سلبياتها، هي سرعة الأداء والانسيابية وضمان تنفيذ القرارات من قبل المجموعة، وبالتالي يعتبر التوصل إلى قرارات صحيحة من خلال ظاهرة الوعي الجمعي إنجازاً كبيراً (<http://www.almadapaper.net/ar/news/520512/>)

ولقد امتد فكر "دوركايم" إلى "مالينوفسكي" و الذي ظهر في دراسته لـ "لتروبريانند" حيث اعتبر "الدّين والسّحر" مسؤولين عن إعادة التّكيف بين الإنسان والبيئة الطبيعية في وقت الأزمات و اعتبرهما أداة الأمن و الطمأنينة للفرد و المجتمع.

(مهدي محمد القصاص، مرجع سابق، ص 70)

فالشّعائر و الطّقوس لها وظيفة أخرى وهي وظيفة التعضيد أو التشديد والتقوية وتأكيد وتعميق القيم والمعتقدات وتحقيق الضبط الاجتماعي بالحفاظ على سلك النّظام الاجتماعي عن طريق تقوية المشاعر (سيف الدين هبية، 2008، ص 8).

كما يضطلع اللاوعي الجمعي بمكوناته بوظيفة الشحن الرمزي، فحسب "دوركايم"، حتى منظومات المعتقدات الجمعية أو الكلّية وأساطيرها وطقوسها التي تمّ تأسيسها لكي تعيد التأكيد وبانتظام على وحدة وهوية الجماعة السياسية ما هي إلا ظواهر دينية، مركزا على ظاهرة "الانفعال والتجيش الجماعي". (http://www.maaber.org/issue_august11/spotlights3.htm)

ويؤكد "بيار بورديو" أن تكرار الإتيان بشعائر الطقوس الدينية بحسب توقيتات زمنية، أسبوعية، سنوية.. يعمل على ترسيخ المعتقد في الذهن والجسد (نطبع). (<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocQassimReligiousRituals.pdf>)

كما أن الأسطورة ليست تفسيراً ولا تعليلاً ولا محاولة لتبسيط الظواهر، إنما هي ذات وظيفة تكفيلية تأسيسية، أي أنها قوة لدعم وترسيخ ما هو موجود.

(<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=81735>)

ومن خلال الدين بطقوسه يقدم الوسيلة التي بها تتجدد باستمرار المشاعر العامة المألوفة للجماعة، ويزود الدين الجماعة بمصدر دائم لا ينضب من الثواب على عمل الخير ومن العقاب على عمل الشر (مهدي محمد القصاص، مرجع سابق، ص 27). ويعمل كذلك على ضبط سلوك الأفراد وحملهم على الانسجام مع المصطلحات والقيم السلوكية المرعية، فعن طريق المعتقدات والعبادات وقواعد المعاملات والثواب والعقاب. (المرجع نفسه، ص 67).

استنتاج عام:

وخلاصة لكل ما تمت مناقشته يمكن القول بأن لكلٍ من الوعي واللاوعي الجمعيين تأثير في الآخر، مادام يكون كلٌ منهما مادته و يستمد قوته من الآخر، فالعلاقة بينهما متداخلة لاسيما عند محاولة رصد مظاهرها على أرض الواقع بعيداً عن التنظير وقد يستحيل أحدهما في شكل الآخر في حال توفرت لذلك ظروف وشروط معينة.

قائمة المراجع:

- 1- أحمد محمد جاد، (ب.ت)، المناهج السيكلوجية في دراسة الدين (دراسة نقدية مقارنة)، دار العلوم، القاهرة.
- 2- حنا عبود، (1999)، النظرية الأدبية الحديثة والنقد الأسطوري، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- 3- سلوى طبركان، (2012)، الألغاز الشعبية القبائلية بمنطقتي واذبية وعزازقة، رسالة ماجستير غير منشورة في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.
- 4- سيف الدين هببة، (2008)، الظاهرة الدينية (الدين والتدين)، من منظور الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 3، غرداية، ص- ص 1:16.
- 5- عبد العزيز الغريب، (2009)، نظريات علم الاجتماع، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- 6- عبد الله عبد الرحمن يتييم، (2014)، إيميل دوركايم ملمح من حياته وفكره الأنثروبولوجي إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 25، البحرين.

7- فضيل حضري ، (2011) ، مستويات الدين و أشكال التدين _ محاولة تصنيفية، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات العدد 11، ص_ص 178 _ 190. غرداية .

8- كارل يونج ، (1988) ، الدين في ضوء علم النفس، ط1، ترجمة و تقديم نهاد خياطة، العربي للطباعة و النشر، دمشق.

9- كارل يونج ، (1997) ، جدلية الأنا و الوعي، ترجمة نبيل محسن، ط1 ، دار الحوار للتوزيع و النشر، دمشق.

10- محمد بوال، (2011)، من المخيلة إلى المخيال- دراسة في تاريخية المفهوم، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، العدد 13، ص-ص 102-123، غرداية.

11- مسعود آذربيجاني، (2016)، علم النفس الديني، قراءة تحليلية في نظريات فرويد ويونغ، مجلة استغراب، العدد 3 _ السنة الثانية. بيروت.

12- مهدي محمد القصاص، (2008)، علم الاجتماع الديني، عامر للطباعة والنشر المنصورة.

<http://www.nama-center.com/ActivitieDatials.aspx?id=30528>

<https://insaniyat.revues.org/4331>

http://dr-cheikha.blogspot.com/2011/09/blog-post_29.html

<http://www.almadapaper.net/ar/news/520512/>

<http://rommanicity.canalblog.com/archives/2008/06/05/9460539.html>

http://www.maaber.org/issue_august11/spotlights3.htm

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocQassimReligiousRituals.pdf>

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=81735>